

## كنوز الحكمة أمثال 3:19 – 4:9

### ■ الدرس السادس

نواصل تأملاتنا عبر سفر الأمثال الشيق. ما زلنا في الفصل الثالث منه وقد رأينا الشاب يبدأ بتحمل المسؤولية بعد أن ترك المنزل وانتقل إلى العالم الخارجي حيث اتصل بالواقع. والمشورة المُقدّمة له هي أن تنتبّه خطواته بالحق المُعلن في كلمة الله، ولا يوجد أهم من ذلك.

طلب صاحب الأمثال من الشاب ألا ينسى شريعة الله بل أن يتمسك فيها، ثم قال له: " **تَوَكَّلْ عَلَى الرَّبِّ بِكُلِّ قَلْبِكَ، وَعَلَى فَهْمِكَ لَا تَعْتَمِدْ. فِي كُلِّ طَرَفِكَ اعْرِفْهُ، وَهُوَ يُقَوِّمُ سُبُوكَ.**" إنه لأمرٌ رائعٌ جداً أن تثق بالله القدير من كل قلبك، وأن تكون مُكرّساً بالكامل له وحده. فما أوجدنا في هذه الأيام إلى التزامٍ وتكريسٍ كاملين له وحده!

فلنا إن دليل التكريس والالتزام الروحيّ هو مقدار عطائنا للرب من جيوبنا. إن الصلوات الطويلة ليست مقياساً للروحانية الصادقة؛ بل ما تصرف من مال جيبيك هو المقياس الحقيقي لها.

يتطلب فهم كلمة الله دراسةً وبذل جهدٍ ووقت. إذ لا يفتح روح الله كلمة الله للعقول الكسالى، وإنما يُوضّحها لمن هو يقظٌ ويتوق إلى التعلّم ومعرفة إرادة الله وفهم كلمته المقدسة.

يقول الكاتب في عدد 19-20 " **الرَّبُّ بِالْحِكْمَةِ أَسَسَ الْأَرْضَ. أَثْبَتَتِ السَّمَاوَاتِ بِالْفَهْمِ. بِعِلْمِهِ انْشَقَّتِ اللَّجْجُ، وَتَقَطَّرُ السَّحَابُ نَدَى.**" نعيش أنا وأنت، عزيزي، في عالمٍ مُنظَّمٍ إلى دَرَجَةٍ مُذهلة. وهنالك أشخاصٌ مؤمنون يُعملون في برامج الفضاء، والبعض منهم يستمع إلى برنامجنا في لغاتٍ مختلفة ويُدعّمه أيضاً. وهذا أمرٌ يُشعّرنا بالسُرور والتهجّة. وإنني لأعجبُ حينما أسمعُ عن أيّ شخصٍ يدرُسُ قوانين الطبيعة ويتعمّق في أسرار الكون دون أن يُدركُ بأننا نعيش في عالمٍ يستحيلُ أن يكون قد وُجدَ بالصدفة. فإن كان الكونُ قد وُجدَ من العدم، فكيف ومتى حدث ذلك؟ أين الدجاجة التي فَسَّت تلك البيضة؟ إن هذا الكون مُنظَّمٌ للغاية بحيث أنه باستطاعة الإنسان أن يُجَهِّزَ صاروخاً، ويضع بعض الأشخاص فيه، ويجعله ينطلق عبر الفضاء إلى القمر ليستقرّ على سطحه قَبْلَ أن يعودَ أدراجَه إلى الأرض. والإنسان، حينما يفعلُ هذا، يعتقِدُ بأنه ذكيٌّ جداً. لكن كلّ الذي قام به هو مُجرّد اكتشافِ قوانين الله التي تجعل الكون بأكمّله يسيرُ مثل الحاسوب. عزيزي، لو كان هذا الكون قد وُجدَ بالصدفة، لما كان يعملُ بهذه الدقّة العجيبة. فالسبب الذي يجعلُ القائمين على برامج الفضاء يتمكّنون من برمجة ذلك الحاسوب الصغير وإرسال الصاروخ إلى المكان المُحدّد وفي الوقت المُعيّن أيضاً هو أنّ الله قد وَضَعَ قَوَانِينِ بِالِغَةِ الدِقَّةِ. والله وَضَعَهَا بِالْحِكْمَةِ وينبغي علينا أن نُميزَ ذكاء الله. واعتقد بأن الله يُسرُّ إن نحنُ أظهرنا مزيداً من الذكاء، ومزیداً من المعرفة به وبطرقه. ويُمكننا مُمارسته ذلك في مدرسة الله، أي من خلال دراسة كلمة الله. هذا هو المكان الوحيد لمثل هذه المعرفة.

من أجل تأملاتنا نقرأ ما تبقى من الفصل الثالث من الأمثال ابتداءً من الآية الحادية والعشرين..

21 يَا ابْنِي، لَا تَبْرَحْ هَذِهِ مِنْ عَيْنَيْكَ. احْفَظِ الرَّأْيَ وَالنَّدْبِيرَ، 22 فَيَكُونَا حَيَاةً لِنَفْسِكَ، وَنِعْمَةً لِعُنُقِكَ. 23 حِينَئِذٍ تَسْأَلُكَ فِي طَرَفِكَ آمِنًا، وَلَا تَعْتَرُ رِجْلُكَ. 24 إِذَا اضْطَجَعْتَ فَلَا تَخَافْ، بَلْ تَضْطَجِعْ وَيَلِدُ نَوْمَكَ. 25 لَا تَخْشَى مِنْ خَوْفٍ بَاغِتٍ، وَلَا مِنْ خَرَابِ الْأَشْرَارِ إِذَا جَاءَ. 26 لِأَنَّ الرَّبَّ يَكُونُ مُعْتَمِدَكَ، وَيَصُونُ رِجْلَكَ مِنْ أَنْ تُؤَخَذَ. 27 لَا تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةٍ بِيَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ. 28 لَا تَقُلْ لِصَاحِبِكَ: «أَذْهَبْ وَعُدْ فَأَعْطِيكَ عَدَا» وَمَوْجُودٌ عِنْدَكَ. 29 لَا تَخْتَرِعْ شَرًّا عَلَى صَاحِبِكَ، وَهُوَ سَاكِنٌ لَدَيْكَ آمِنًا. 30 لَا تُخَاصِمِ إِنْسَانًا بِدُونِ سَبَبٍ، إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ مَعَكَ شَرًّا. 31 لَا تَحْسِبِ الظَّالِمَ وَلَا تَحْتَرِ شَيْئًا مِنْ طَرَفِهِ، 32 لِأَنَّ الْمُلْتَوِيَّ رَجَسٌ عِنْدَ الرَّبِّ، أَمَا سِرُّهُ فَعِنْدَ الْمُسْتَقْبِمِينَ. 33 لَعْنَةُ الرَّبِّ فِي بَيْتِ الشَّرِيرِ، لِكِنَّهُ يُبَارِكُ مَسْكَنَ الصَّادِقِينَ. 34 كَمَا أَنَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِالْمُسْتَهْزِئِينَ، هَكَذَا يُعْطِي نِعْمَةً لِلْمُتَوَاضِعِينَ.

### 35 الحُكْمَاءُ يَرْتُونَ مَجْدًا وَالْحَمَقَى يَحْمِلُونَ هَوَانًا.

يطلب صاحبُ الأمثال من الشاب صديقنا ألا تبرح مَعْرِفَةَ الله من عينيه متذكراً أن الحياة والنِعمَةَ يأتيان من خلال الحكمة والمعرفة التي تنطوي عليها دراسة كلمة الله. **"حينئذ تسألُك في طريقك آمناً، ولا تعثرُ رجلك. إذا اضطجعت فلا تخاف، بل تضطجع ويلدُ نومك"**. لدى الإنسان في وقتنا الحاضر مخاوف معينة تتعلق بالحياة. وهذه المخاوف تتناوبنا جميعاً. فما هو الحلُّ برأيك؟ نعم كلمة الله هي الجواب لكل هذه التساؤلات. بما أننا نقضي غالبية وقتنا ونحن نسير أو ونحن مُضطجعين، فإن كلمة الله تُقدِّم لنا الضمان بأن طريقنا سيكون آمناً، ونومنا سيكون لذيذاً. كم هو رائع أن نكتشف بأن حقَّ الله يُمكننا - أنا وأنت لا نُمسِكُ بالحقِّ صديقي، بل الحق هو الذي يُمكننا، مجدداً لله! ثم يقول: **"لا تخشى من خوفٍ باغتٍ"** - لا تخف، عزيزي، من اللحظة القادمة. فإله يعتني بك في هذه اللحظة، وهو سيعتني بك في اللحظة القادمة. **"لأنَّ الرَّبَّ يكونُ مُعَمِّدَكَ، ويصونُ رجلك من أن تُؤخذ."** وفي وقت الضيق والتعب والخوف أمحنى يا إلهي الثقة واليقين بأنك ستحفظ قدمي من السقوط.

والآن نصلُ إلى حِكْمَةٍ رائعة - في الحقيقة، هنالك العديد من الحكم الرائعة هنا. **"لا تمنع الخَيْرَ عن أهليه، حين يكون في طاقة يدك أن تفعله"**. يقول د. مكغي: لم يكن أبي يُحبُّ الكنائس المنظمة، بل كان معارضاً لها بسببِ حادثَةِ مَريرة تعرَّضَ لها حينما كان شاباً يافعاً. لكنني كنتُ أشعرُ دوماً برغبته في أن يكون مُطيعاً لله. ويتابع قائلاً: ذات يومٍ حينما كنتُ صغيراً، كنتُ أرافقُ والدي في عَرَبية يجرها حصان في إحدى المناطق الريفية. فجأة، انفتحت بوابة إحدى المزارع وقرَّ منها قطع من الأبقار. وعندها، أوقف والدي العربة وقام بإعادة الأبقار إلى حظيرتها وأغلق البوابة بإحكام ثم عاد إلى العربة دون أن يقول كلمة واحدة لأي شخص. حتى أنه لم يذكر شيئاً لصاحب تلك الأبقار.

**"لا تقل لصاحبك: اذهب وعد فأعطيك عداً وموجود عندك"**. كثيرون يقولون: لا يمكنني ان أعطي لعمل الرب الآن، أنتظر إلى أن أصبح غنياً! وهم يقولون للآخرين: **"لا أستطيع مُساعدتك اليوم؛ ارجع عداً"** - في حين أنهم يملكون المال في جيوبهم! ونقرأ في رسالة رومية 8:13: **"لا تكونوا مديونين لأحدٍ بشيء إلا بأن يُحبَّ بعضكم بعضاً..."**. هذا النوع من المحبة يبين ما إذا كان الشخص ولداً من أولاد الله أم لا. أتعلّم، عزيزي، بأنه حينما نكونُ أنا وأنتُ مدينين بالمال لشخصٍ آخر فإن المال الذي يكون في حوزتنا ليس لنا؟ فهو في واقع الأمر للشخص الآخر. وإن قمنا باستعمال هذا المال لأغراضنا الشخصية نكونُ بذلك غير أمعاء. وهذا هو بعينه ما يقوله سليمان الحكيم هنا.

عدد 29 **"لا تخترع شراً على صاحبك، وهو ساكنٌ لديك آمناً"**. في علاقتك مع جارك، لا تفعل أشياء يُمكن أن تكون لمصلحتك في حين أنها تضرُّ جارك. كذلك، لا تُحاول أن تجاري جيرانك في كل شيء يفعلونه. كم هو جميل أن يقول لك جارك: **"أنا سأسافرُ لأيامٍ قليلة. هل يُمكنك أن تعتني بمنزلي أثناء غيابي؟"** فهذا يُعطيكَ فرصة لإظهار علاقتك بالله بطريقة عملية جداً. عدد 30: **"لا تُخاصم إنساناً بدون سبب، إن لم يكن قد صنعَ معك شراً"**. بحسب شريعة موسى، كان الخصام مع أي شخص بدون سبب مُقنع يُعدُّ خطية. وفي إنجيل النعمة نقرأ: **"لا تنتقموا لأنفسكم أيها الأحياء، بل أعطوا مكاناً للغضب، لأنه مكتوب: «لي النقمة أنا أجازي بقول الرب»"** (رومية 12:19). فإن لجأنا إلى الانتقام والأخذ بالثأر، نكون بذلك قد جئنا عن طريق الإيمان وتخلينا عن الثقة بالله. وحتى لو تعرَّضنا للإساءة، فينبغي علينا أن نحيل الأمر كله إلى الله ونسمح له بأن يُعالج الموقف ويتعامل مع الشخص الذي أساء إلينا.

لقد تعلمتُ أنه إذا تعرَّضتُ للأذى أو الإساءة من شخصٍ ما فإني أطرح الأمر عند قدمي الرب. صديقي، دع الرب يعرفُ بأنك تُعاني وتتألم. كذلك، حول الشخص الذي أساء إليك إلى الله، وقُل للرب: **"هذا عمَلُك يا رب. أنت قلتُ بأنك ستعالج الأمر"**. فعلاً، هذه الحكم والأمثال رائعة وصادقة، وهي ليست صالحة للشباب فحسب، بل وأيضاً لكبار السن من الرجال والنساء، وكذلك الفتيات - إنها تنطبق على الجنس البشري بأكمله.

ثم ينتهي الفصل الثالث بذكر الظالم وهو الشخص الذي يضطهد الآخرين ويُعاملهم مُعاملةً لا رَحمةَ فيها ولا شَفقةً. كذلك يذكر "الشَّرير" أي الخاطئ أو الأثيم. وهذه الآية تُذكِّرنا بالملك آخاب. وما مِنْ شَكِّ في أَنَّ الله أَوْقَعَ دِينُونته على بَيْتِ آخاب. ويقول الكاتب عن الله بأنه "يَسْتَهْزِئُ بِالمُسْتَهْزِئِينَ، هَكَذَا يُعْطِي نِعْمَةً لِلْمُتَوَاضِعِينَ. الحُكْمَاءُ يَرْتَوُونَ مَجْدًا، وَالْحَقْمَى يَحْمِلُونَ هَوَانًا". هذه الآية تنطبقُ على الكثير مِنَ الأشخاص – ورُبَّمَا تنطبقُ أيضاً على بعض الأشخاص الذين تعرفُهُم أنت. وعلى مرَّ العُصور، كانَ هُنالكَ الذين يحسدون الأغنياء. وقد اكتشَفَ العديدون، ومن بينهم داود النبي، بأنَّ الله يَدِينُ الأغنياء.

اسمح لي صديقي أن أنتقل بك الآن الى الفصل الرابع من الأمثال. رُغِمَ أَنَّ الصبيَّ الصغيرَ قد أصبحَ الآن شاباً يافِعاً ودَخَلَ العالمَ الكبيرَ المليءَ بالشرور، إلاَّ أَنَّ الحَكِيمَ ما يَرَالُ يَنْصَحُهُ بأنَّ يَنْذَكَرَ إرشاداتِ والده. لنقرأ الآيات التسع الأولى من هذا الفصل..

1 اِسْمَعُوا أَيُّهَا التُّبُونَ تَأْدِيبَ الأبِّ، وَاصْعُوا لِأَجْلِ مَعْرِفَةِ الفَهْمِ، 2 لِأَنِّي أُعْطِيكُمْ تَعْلِيمًا صَالِحًا، فَلَا تُتْرَكُوا شَرِيعَتِي. 3 فَإِنِّي كُنْتُ ابْنًا لِأَبِي، غَضًّا وَوَحِيدًا عِنْدَ أُمِّي، 4 وَكَانَ يُرِينِي وَيَقُولُ لِي: «لِيَضْبُطْ قَلْبُكَ كَلَامِي. احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحَبِّبًا. 5 اقْتَنِ الحِكْمَةَ. اقْتَنِ الفَهْمَ. لَا تَنْسَ وَلَا تُعْرِضْ عَن كَلِمَاتِ فَمِي. 6 لَا تُتْرَكْهَا فَتَحْفَظَكَ. أَحْبِبْهَا فَتَصُونَكَ. 7 الحِكْمَةُ هِيَ الرَّأْسُ. فَاقْتَنِ الحِكْمَةَ، وَبِكُلِّ مُفْتَنَّاكَ اقْتَنِ الفَهْمَ. 8 ارْفَعْهَا فَتُعَلِّمَكَ. تُمَجِّدُكَ إِذَا اعْتَنَقْتَهَا. وَتُعْطِي رَأْسَكَ إِكْبِيلَ نِعْمَةٍ. تَاجَ جَمَالٍ تَمْنُحُكَ».

يبدأ الفصل بمخاطبة البنين، وكلمة "بنون" هنا تعني الشباب الصغار والكبار سواء كانوا ذكوراً أو إناثاً. سليمان الحكيم هو الذي يُكْتَبُ هذه الكلمات، وهو يتحدث عن أبيه داود. لاحظ عزيزي بأنه يقول: "فإني كنتُ ابناً لأبي، غَضًّا وَوَحِيدًا عِنْدَ أُمِّي". بعضُ المُفسِّرين يرونَ بأنَّ قلبَ داود كان مُنشِغاً فقط في ابنه سليمان. لكنني لا أعتقد ذلك. فالأسفار التاريخية تُبيِّنُ أَنَّ سليمان لم يكن الخيَارَ الأوَّلَ والأفضلَ عِنْدَ أبيه. فقد نشأ سليمان في قصرٍ مليءٍ بالنساء، وكان إلى حدِّ ما مدللاً. وفي رأيي بأنه كان إنساناً لَعوباً، وبأنَّ داود لم يكن يجد الكثير من الأشياء المُشتركة بينه وبين ابنه سليمان. وكانَ سليمان يقول: "أنا ابنُ أبي، لكنَّ أُمِّي هي التي أَحْبَبْتَنِي وَعَلَّمْتَنِي. لكن كان أبوه يقول له: "لِيَضْبُطْ قَلْبُكَ كَلَامِي. احْفَظْ وَصَايَايَ فَتَحَبِّبًا". مِنَ المَرْجَحِ أَنَّ داود قدَّم لابنِه سليمان الكثيرَ مِنَ النصائح. وحينما أصبحَ سليمان ملكاً، قال له أبوه داود: "تَشَدَّدْ وَكُنْ رَجُلًا!" في اعتقادي أَنَّ داود قال ذلك لأنه كان يشعر بأنَّ سليمان لم يكن يتحلَّى بالشجاعة الكافية. لقد تعلمَ داود من خلال تجربته في الحياة بأنه من الأفضل للمرء أن يُطِيع الرَّبَّ. ربُّما لم يكن داود لطيفاً كما ينبغي في تعليم ابنه. وأنا لم أشعر قطُّ بأنَّ داود كانَ ناجِحاً كأب. وللأسف الشديد، فإنَّ هذا الحال ينطبقُ على العديد من الرجال العُظماء. لكن، كانت حياة داود نموذجاً لابنِه سليمان كي يحذو حذوه. قد تقول: "صحيح، لكن انظر ماذا فعلَ داود!" حسناً، لقد ارتكبَ داود خطيئته الشنيعة قبلَ ولادةِ سليمان، وتابَ ورجعَ عَن نَمَطِ الحياة السابق الذي كانَ يعيشه.

يقول سليمان: "اقْتَنِ الحِكْمَةَ. اقْتَنِ الفَهْمَ. لَا تَنْسَ وَلَا تُعْرِضْ عَن كَلِمَاتِ فَمِي. لَا تُتْرَكْهَا فَتَحْفَظَكَ. أَحْبِبْهَا فَتَصُونَكَ". يتمُّ تصوير الحِكْمَةَ هنا وكأنها سيِّدةٌ تُديرُ مدرَّسةً وتوزِّعُ منشوراتٍ عنها. تذكَّر بأنَّ هُنالكَ امرأةٌ أخرى؛ إنها المرأة الغربية التي تسعى هي الأخرى لِجَدْبِ انتباهِ ذلك الشاب. أما الحِكْمَةُ فهي تُلِحُّ عليه بأنَّ يأتي إلى مدرَّستها لكي يُصِبِحَ حَكِيمًا.

لاحظُ بأنه يقول إنَّ الحِكْمَةَ "تَحْفَظُ" الشابَّ و "تصونه". الفارقُ الكبيرُ بينَ التربويين المُعاصرين واضحٌ من خلال هذه الآية. فهل يُحبُّ هؤلاء الحِكْمَةَ؟ أو بعبارةٍ أخرى، هل يُحبُّون كلمةَ الله؟ قال الفيلسوفُ والعالمُ الفرنسيُّ "باسكال" إنَّ المعرفةَ البشريةَ يجبُ أن تُفْهَمَ لكي تُحَبَّ. أما المعرفةُ الإلهيةُ فينبغي أن تُحَبَّ لكي تُفْهَمَ. لذلك، إن أردتُ،

عزيزي، أن تفهم كلمة الله، فينبغي عليك أن تقترب منها بمحبةٍ ويعقلٍ منفتحٍ للتعلم. وعندنا، يمكن لروح الله أن يكشف لك عن الحقائق العظيمة. كم هو ضروري أن ندرك هذا الأمر. والحكيم سليمان يقول: "أحبها فنصونك."

عدد 7 "الحكمة هي الرأس. فافتن الحكمة، وبكل مقتناك افتن الفهم". لاحظ الطريقة التي يتحدث بها سليمان الحكيم عن الحكمة. فهي ليست مجرد معرفة؛ كما أنها لا تعني أن تمتلك عقلاً شبيهاً بذاكرة الحاسوب؛ بل هي حكمةٌ وذكاءٌ يتيحان لك استعمال المعرفة بصورة صحيحة، وأن تحبها. وهذا شيء تحتاج إليه أرواح البشر كثيراً في هذه الأيام. ومن الأسباب التي تجعل التعليم غير مشبع أو غير مرضٍ هو طريقة تقديم المعلومات. والشيء المؤثر هنا هو أنه ينبغي علينا أن نتحلى بالحكمة. وهذا أمر هام للغاية.

الشيء الممتع هنا هو أنه ينبغي على المرء أن يحب الحكمة كما يحب شريك حياته. وحينما نصل إلى العهد الجديد تتغير الحال – فالمسيح أصبح حكمتنا، ولهذا ينبغي علينا أن نحبه هو. أما المشكلة الحقيقية التي نعاني منها في وقتنا الحاضر فهي لا تكمن في أنه توجد مشاكل أو صعوبات في الكتاب المقدس، بل تكمن في أن الإنسان لا يكف حياً وشوقاً لله وللأشياء المتعلقة بالله. فحينما نتأجج محبة الله في القلب، فسوف تبدأ أسرار الكتاب المقدس بالتكشف لنا شيئاً فشيئاً لأن روح الله يصبح هو المعلم. فما هو مقدار محبتك لله أخي الكريم؟